الامتاع والمؤانسة

ابو حيان التوحيدي (علي بن محمد) من فلاسفة القرن الخامس ومن أجل علمائه وأدبائه ، وهو ثاني الجاحظ ببلاغته واتساع مادته في العلوم ، وكان يتوخى بأسلوب كتابته البسيط والابانة ويصدر عن حرية وتوسع . وقد ألف كتباً كثيرة أورد الصفدي جريدتها في « الوافي بالوفيات » ومنها كتب في فتوح البلدان ، واكثر كتبه على ما يظهر مما أحرقه في حياته ، لما عرته السوداء بما ناله من الحرمان والشقاء

ولم يطبع له الى الآن سوى كتاب « المقابسات » و كتاب « الصداقة والصديق » و كتاب « ثمرات العلوم » . وآخر ما طبع له كتاب « الامتاع والمؤانسة » طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة وتولى الاستاذان احمد أمين بك واحمد الزين تصحيحه والتعليق عليه ، فجاء الجزء الأول في ٢٢٦ ص عدا الفهارس والمقدمة . وبقي من الكتاب جزآن آخران تحت الطبع والنظر .

دوّن المؤلف في الامتاع والمؤانسة ما دار بينه وبين ابن سعدان الوزير ، ورجح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أحد الناشرين احمد امين انه هو ابو عبد الله العارض ، أو ابو عبد الله بن الحسين ابن احمد بن سعدان وزير صمصام الدولة البويهي ، لا كما ادعى القفطي في « تراجم الحكماء » من انه كتبه لأستاذه أبي سليمان المنطقي (محمد بن طاهر السجستاني) . فان المؤلف صرح بذلك في مقدمة كتابه هذا ، وقال ان الذي حثه على تدوين ما دوّن صديقه أبو الوفاء المهندس (محمد بن محمد بن يحيى البوزجاني) احد ندماء ابن سعدان وهو الذي قدمه له وعرفه اليه . اراده أن يكتب له ما كان يدور في مجلس الوزير في ليالي السمر ، وهي سبع وثلاثون ليلة حمل الجزء الأول منها ست عشرة ليلة .

وفي هذه الاسمار كلام مفيد جداً في تحليل شخصيات علماء ذاك العصر في بغداد ، وعرضٌ جيد لفلاسفتهم وأدبائهم ، ولمواطن الضعف في نفوسهم ، ومثارات النقد من حياتهم ، على أسلوب ما عهد لكاتب يكتب في الجد أن يدون مثله . وفي الكتاب فوائد في اللغة والشعر والكتابة والتفسير والحديث والاخلاق والفكاهة والتاريخ والحيوان الى غير ذلك مما كشف المؤلف الحجاب فيه عن أشياء كانت غير معروفة من حالة ذاك العصر . وفي هذا الجزء مناظرة ابي سعيد السيرافي مع أبي بشر متىّ بن يونس (او يونان) في النحو العربي والمنطق اليوناني ، وهي التي نقلها ياقوت في معجم الادباء برمتها ، وفيه مبحث في خصائص الشعوب المعروفة لعهده ، ورد على الشعوبية أعداء العرب وتفضيل العرب عليهم ، وفيه وصف الكتابة والمبرزين فيها في عصره ، وكلام على ابن العميد والصاحب بن عباد ، وكان ابو حيان كتب فيهما كتاباً ثلبهما فيه سماه مثالب الوزيرين

وروح التوحيدي ، كمعظم ما انتهى الينا من كلامه ، منقبضة عابسة خلافاً لروح الجاحظ المرحة الضاحكة ، ولا يحمل ذلك الا على مزاج خاص في كل منهما ، وعصر الجاحظ ينطق الابكم ، وعصر التوحيدي يكم الافواه . وتبين بما عرف من أقوال التوحيدي انه بهذه الحزبة التي أطلقها لنفسه في نقد الرجال دعا الى اغفال أرباب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السير وكتاب التراجم ذكره في كتبهم ، فلم يسلكوه في سلك المتصوفة ، ولا في سمط الفلاسفة ، ولا عدوه في المتكلمين ولا المتأدبين ولا المتألهين العابدين ، لأنه آلم جمهرة أرباب المظاهر العلمية بما ترجم لهم به ولم يتخطّ نقده غير أفراد من أساتذته ومن رضي عنهم من أصحابه

ومن نقده للرجال ما قاله في مجلسين في التعريف بأبي علي احمد بن محمد مسكويه صاحب « تهذيب الاخلاق » و « الفوز الاصغر » و « تجارب الأمم » : « وأما مسكويه ففقير بين أغنياء ، وعيي بين ابناء ، لأنه شادٍ ، وأنا أعطيته في هذه الأيام (صنو الشرح لإيساغوجي) وقاطيغوريا س من تصنيف صديقنا بالرّي . قال : ومن هو ؟ قلت : ابو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن العامري ، وصحبه معي ، وهو الآن لائذ بابن الخمار ، وربما شاهد أبا سليمان وليس له فراغ ، ولكنه مخبتٌ في هذا الوقت للمسرة التي لحقته فيما فاته من قبل . فقال : يا عجباً لرجل صحب ابن العميد أبا الفضل ، ورأى من كان عنده ، وهذا حظه ! قلت : قد كان هذا ، ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء مع ابي الطيب الكيميائي الرازي ، مملوك الهمة في طلبته ، والحرص على اصابته ، مفتوناً بكتب أبي زكرياء وجابر بن حيان ، ومع هذا كان اليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ، هذا مع تقطيع الوقت في حاجاته الضرورية والشهوية ، والعمر قصير ، والساعات طائرة ، والحركات دائمة ، والفرَصُ بروق تأتلق ، والأوطار في غرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس على فواتها تذوب وتحترق . ولقد قطن العامريُّ الرّيَّ خمس سنين جُمعةً ، ودرّس وأملى وصنف وروى ، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنه كان بينه وبينه سدّ ، ولقد تجرع على هذا التواني الصابَ والعلقم ، ومضغ لقمة حنظل الندامة في نفسه ، وسمع بأُذنه قوارع الملامة من أصدقائه ، حين لم ينفع ذلك كله . وبعدُ فهو ذكيٌّ حسن الشعر نقي اللفظ ، وان بقي فعساه يتوسط هذا الحديث (كذا) وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء ، وانفاق زمانه وكدّ بدنه وقلبه في خدمة السلطان ، واحتراقه في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البخل بالدانق والقيراط والكسرة والخرقة . نعوذ بالله من مدح الجود باللسان ، وايثار الشح بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ومفارقته بالعمل . وهذا هو الشقاء المصبوب على هامة من بلي به ، والبلاء المعصوب بناصية من غلب عليه . »

وقال في وصفه أيضاً في مكان آخر (ص ١٣٦) : « واما مسكويه فلطيف اللفظ ، رطب الأطراف ، رقيق الحواشي ، سهل المأخذ ، قليل السكب ، بطيء السبك ، مشهور المعاني ، كثير التواني ، شديد التوقي ، ضعيف الترقي ، يَرِد اكثر مما يصدُر ، ويتطاول جهده ثم يَقصر ، ويطير بعيداً ويقع قريباً ، ويسقي من قبل ان يَغرس ، ويمتح من قبل ان يُميه ، وله بعد ذلك مآخذ كشدوٍ من الفلسفة ، وتأت في الخدمة ، وقيام برسوم الندامة ، وسنة في البخل ، وغرائب من الكذب ، وهو حائل العقل لشغفه بالكيمياء . » اهـ

وفي هذا الكلام تحامل على المترجم به ، فان من ترجموا له اجمعوا على انه في طبقة أعلى من الطبقة التي حاول ابو حيان ان يضعه فيها . ولذلك اتهم التوحيدي بدينه ، ونسبت اليه أمور ما خطرت له ببال ، حتى عزا اليه ابن ابي الحديد شارح نهج البلاغة رسالة او مناظرة ابي بكر الصديق مع علي بن ابي طالب (رضي الله عنهما) في الخلافة وادعى ان التوحيدي وضعها ، مع ان الرجل قال في كتابه البصائر والذخائر وفي غيره انه نقلها عمن رواها وهو شيخه ابو حامد احمد بن بشر المرورزي ، أملاها على جماعة من حفظه و كتبها هو وبعض الحضور في المجلس ، ولا موجب لأن يبرأ التوحيدي من عهدتها اذا صح انه هو كاتبها ، فقد روى في كتبه أعظم منها وما خاف ولا جمجم ، ومن أنعم النظر في أسلوب هذه المناظرة وأسلوب التوحيدي فربما يحكم بأنها أرقى من طبقته في الكتابة (راجع ما كتبناه في تحليل حياة أبي حيان التوحيدي و كتابته وتآليفه في الجزء الثاني من كتابنا « إمراء البيان » ص ٤٨٨ - ٥٤٥)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بذل الناشران الفاضلان الجهد في تصحيح كتاب الامتاع والمؤانسة وفي التعليق عليه ، وأخرجاه من نسخة وحيدة مخطوطة ، والناسخ أعجمي جميل الخط لا يعرف ما كان ينسخ . ويؤخذ على الناشرين اغفال التنبيه على جمل غير مفهومة من النصوص ابقياها كما هي بدون أن يشيرا اليها ، واعتذرا بأنهما في اكثر الاحيان ينبهان على أنه تحريف وان صوابه ما أثبتاه . وعندنا ان هذه الطريقة ليست عملية اذ ليس كل القراء على بصيرة من فهم كلام البلغاء ولا جمهورهم ممن يفهم في الحال المحرف ونقيضه .

وكنا نود لو وقع الفصل الذي كتبه ابو حيان في الحيوان على ما كان معروفاً في عصره تحت نظر أحد علماء الحيوان في هذا العصر ليعلق عليه ما يزيد في امتاعه ، وقد استغرق ٣٨ صفحة من كتاب الامتاع . والواجب أن يلقي النظر على مثل هذا الكتاب المنوّع البحوث والموضوعات عدة أخصائيين ، فمن يبرز في الأدب مثلاً ، قد لا يكون له حظ من التاريخ ، ومن يشدو شيئاً من الفلسفة والتصوف لا يحسن الحيوان والنبات والطبيعة والفلك والموسيقى . وما دام المقصود احياء أدبنا القديم على الوجه الصحيح ، ليحسن الانتفاع به ، فلا غضاضة علينا اذا تعاون أرباب البصائر مثل هذه المخطوطات بالتدقيق على عدة صور ، على نحو ما كانت تجري دار الكتب المصرية في عرض تجارب الاغاني على مختلف الطبقات من العلماء ليصححوها ويقروا الرواية السليمة .

وقد تفضل أحد الناشرين فأطلعني على ملازم كتاب الامتاع بعد طبعها ، فاهتديت الى نحو مئة غلطة أقراني على ثلاث وأربعين منها وتفضلا ونشراها في آخر الجزء الاول وتركا لي حريتي في البقية أنشرها في أي مجلة اوجريدة شئت ، لأنهما رأيا أن نشرها كلها معناه انهما موافقان على مافيها . والى القارئ الكريم بعض ما ورد في الكتاب من الاغلاط التي لم يقرني الناشران عليها :

ص ١١ حسن النعمة — مسّ النعمة ١٦٠ تخنث وتليث — تخنث وتدبث ١٨٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

راشه (جعل له ريشاً) والاولى تفسيرها (اصلح حاله) كما في كتب اللغة ١٩ .. مع عفو لفظك — اجر أو سر مع عفو لفظك ٢٠ أبالي البلاء — أأبلي البلاء . وفيها : فقلت قبلُ .. تصحح هكذا : فقلت قبلُ : كل شيء اريد ان اجاب اليه ليكون ٢٢ قال هذا باب مفترق فيه ورجعنا الى الحديث فانه شهي سيما — ورجعنا الى الحديث ، قال وهذا باب مفترق فيه فانه شهي سيما .. وفيها : حروف متقاومة — متقاربة أو متساوقة . ٢٤ المعانقة العجيبة — المعانق ٢٩ والثناء الطيب اشاعه الله — بحذف الألف من أشاعه وفي الأساس : شاعكم الله تعالى السلام وشاعكم السلام ٣١ عاش — ارتاش ٣٣ وحسن استنباط للعويص — نظنها وسوء استنباط لان المقام مقام تعديد مساويه لا تعداد حسناته ٣٥ ولكنه محسٌ — مخبت . ومنها في طلبه والحرص — في طلبته ٣٦ حتى كأنه بينه — حتى كأنه كان بينه . ومنها ومضع بفمه — ومضغ لقمة ٣٨ القوهي — الكوهي ٤٤ كان الماضي — كان في الماضي ٥٠ نشطني وبشرني — بسطني وسرّني — . ومنها : واذاقني حلاوة هذه المزية — هذه المرتبة ، ٥١ في الذلة الدائمة والحال المربوطة . وخرّجا المربوطة بقولها لعله يريد بالمربوطة في هذا الموضع ، الواقفة عند حد من الفاقة لا تنتقل عنه (كذا) والأولى ان يقال الحال المسخوطة . ومنها : ووفاءً بما له في عنقي من مننه — من مِنن . ٥٣ مغلوب مالديه — مغلوب على مالدية ٥٥ حسود حقود حديد — ليس في طبقات الأدباء «حديد» والأولى حذفها ٥٦ وكن الثالث من الهمج المنشدين — لا معنى لهمج والأولى حذفها وفي طبقات الادباء : وكن الثالث من المنشدين ٥٧ لا تجعلني نُهزة الشامت — لا تجعلني هزأة الشامت ٥٨ وابن ثوابة في الفقه — في التقفية ، لأن ابن ثوابة أديب كاتب وليس من الفقهاء ، يؤيد ذلك أنه ذكر في الصفحة ذاتها مع ابن عبد كان وابراهيم بن العباس الصولي وفي ص ١٠٣ ورد ذكره مع ابن وهب وآل وهب وكل هؤلاء لم يعرفوا بغير الادب والبيان وجاء ذكره في ص ٦٦ عند حكمه على أبي الفضل بن العميد في الكتابة ٥٩ يتقابل ويتمابل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— يتفكك ويتمايل ٦٠ ولكن الغنى رب غفور — في ديوان عروة بن الورد — ولكن للغنى رب غفور ، ٦١ غلط في السجع — غِلظ في السجع ٦٤ والثاني العادة وهي المؤاتية — ترفع « وهي » الى السطر السالف فانها سقطت منه وتجعل محلها في « وخاذلته لا ناصرته » فتكون هكذا : وهي خاذلته لا ناصرته ، ٦٥ وليس في الدنيا محسوب — مخلوق . ومنها : الحلاوة المذوقة بالطبع — نرجح المدوفة وفي حديث ام سليم قال لها وقد جمعت عرقه ما تصنعين ؟ قالت عرَقك أدوف به طيبي أي اخلط يقال دفت الدواء أدوفه اذا بللته بماء وخلطته فهو مدوف (عن النهاية لابن الاثير) ٧١ دار ابن برثن — في العقد الفريد دار نيروز ٧٢ فوضعوا لذلك الأنواء — فوصفوا ٣٧ وخطؤه ، متباين — تحذف متباين فيستقيم المعنى ٧٤ وتلك لا تخص بل تُلمّ — بل تعمّ ٧٦ وكأن عمائمهم فوق الرجال ألوية — فوق الرِّحال ، ٨٠ وطعم ما لحق — وطعم ما لُوّق . وفي حديث عبادة بن الصامت : ولا آكل الا ما لوّق لي أي لا آكل الا ما لين لي واصله من اللوّقة وهي الزبدة وقيد الزُّبد بالرَّطب (النهاية) ومنها : فَهدَلت الثمار — فتهدلت ٨١ وُنضرت خلافتهم — ونُصرت ، ٨٢ يضاف الى آخر السطر السادس قوله في السطر بعده : عزّ المهيّا الخ الى قوله مقصوداً ويكون اول الكلام في السطر السابع : وبعد ، فالذي . ومنها : ويستبدّون في مصالحهم — ويستعدون على مصالحهم ٨٧ وطعم العشب — الجشب ، وهو الطعام الغليظ او الذي بلا إدام . ومنها المعمومة بالفضل — المعكومة ، والمعكوم المشدود ٨٩ إقليدس — أُقليدس . في القاموس أُوقليدس بالضم وزيادة واو اسم رجل وضع كتاباً في هذا العلم المعروف وقول ابن عباد إقليدس اسم كتاب غلط . وبالافرنجية Euclide

ومثله في صفحة ١١٦ إلا أحكام اللغة — الا إحكام اللغة ٩٣ وقبل منه الفرس — وقبله منه الفرس ٩٥ والمسفُّ حاضر العين — العيب ١٠٠ لجعفر بن يحيى فان كتابته كانت سوادية — نرجح ان تكون ساسانية بدليل ما جاء بعدها وبلاغته سحبانية وسياسته يونانية وآدابه عربية ولا معنى لسوادية هنا ١٠٥ معرفة باقية — معرفة ثاقبة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٠٦ وهائلا وعاملا — وهائلاً وغائلاً ، ١١٥ صفها وبنائها — وضعها وبنائها ، ١٣٣ الدين الثخين — الدين المتين ، ١٣٩ ويشمّ فيهزّ — ويشتم ١٥٩ يضبط ويحتد — ويحدّ ١٦٨ يترحل النهار — يترجل النهار وفي الاساس : وترجلت الشمس ارتفعت ، وترجل النهار ٢٠٨ رسم او قوام — من رسم أو قوام اه

وهنا لابد من تسجيل رأينا في احياء المخطوطات القديمة . فانا نرى ان تعرض كما قلنا على عدة اخصائيين خصوصاً اذا كان الأصل مبدلاً محرفاً فقد رأينا كتاب الامتاع والمؤانسة وقع اولاً الى أيدي ثلاثة من أساتذة دمشق وهم خليل مردم بك ورشدي الحكيم والدكتور حسني سبح فأصلحوا ما أمكن اصلاحه من اغلاط الناسخ وهي كثيرة جداً فنقلت الصورة الأصلية الى مصر مصححة في الجملة فعاد الاستاذان احمد امين واحمد الزين فصححا ما أمكنهما تصحيحه وطبعاه معلقين عليه تعليقات قيمة . ودوّن كاتب هذه التعليقة ما عنّ له من تصحيح بعض الهفوات فوافقني صديقاي الناشران على عشرات منها . وهكذا الشأن في كل كتاب للاسلاف نريد احياءه وليس لنا الا نسخة واحدة منه لابد ان يتعاور النظر فيه عدة باحثين وناقدين فيهتدي كل واحد الى ناحية قد لا يهتدي اليها صاحبه وليس في ذلك غضاضة على الناشر الأول . وعندي ان كتاب الامتاع والمؤانسة لو وقع الآن هذا الجزء المطبوع منه تحت نظر ناقد آخر او عدة نقاد لرأوا فيه مالم يره الدمشقيون والقاهريون . وقد استحقت لجنة التأليف باحيائها الامتاع والمؤانسة الثناء العطر لأن انشاءه نمط عال من الأدب كان يجهله المتأدبون والرجاء ان تسارع الى اخراج الجزأين الباقيين تبلّ بهما شوق عشاق الأدب العربي القديم .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net